عنوان المحاضرة:

العلوم المساعدة للتاريخ.

شهد علم التاريخ تطورا واسعا في أوروبا، منذ القرن التاسع عشر. بسبب نمو علوم أخرى مساعدة له، وسعت آفاقه وعمقت نظرته وزودته بوسائل عمل جديدة من هذه العلوم ما يلي:

1 - علم التوقيت(الكرونولوجيا):

ميدانه البحث في الزمن على اعتبار أنه بعدا يقاس من أبعاد الوجود الإنساني. حيث أن حياة الإنسان تجري في الزمن الذي تتوالى فيه الأحداث وأشكال التفكير وكل نشاط يقوم به الإنسان والذي يدخل كجزء من التاريخ الإنساني.

إن الباحث التاريخي ملزم بمعرفة أنواع التقاويم الكبرى والتي كانت مستخدمة سابقا والمستخدمة حاليا.

إن التقويم الميلادي(الغريغوري) هو الذي يستخدم اليوم على نطاق واسع في غالبية دول العالم. كما أن التقويم الهجري والذي يجسد التاريخ الإسلامي فيستند إلى السنة الهجرية من الفاتح من شهر محرم.

يذكر بأن الزمن مهم جدا في عملية التدوين التاريخي بل هو إحدى عيني التاريخ اللتين يبصر بهما والتي ينبغي على المؤرخ أن يجعله دعامة أساسية من دعامات بحثه.

2- علم الجغرافيا وصلته بالتاريخ:

إن الأحداث التاريخية تتجاوز الزمان فهي تجري كذلك في المكان أي تسجل بإحداثيات الزمان وإحداثيات المكان الذي هو الفضاء الجغرافي الذي يحيا فيه الإنسان. فتاريخ أي بقعة دون ذكر إطارها الجغرافي من جبال وسهول وغيرهما لا معنى له.

إن الجغرافيا علم يدرس التواصل بين الإنسان ومحيطه الطبيعي. فهو يؤثر فيه و يطوعه كيف يشاء. كما أن للجغرافيا فروع عديدة تثري الكتابة التاريخية التي تقتفي آثار الماضي ومخلفاته في تلك المواقع.

3- علم الخرائط التاريخية:

يندرج ضمن علم الجغرافيا التاريخية الأطالس التاريخية و إنجاز الخرائط التي تختزل خلاصة أبحاث لظاهرات تاريخية محددة، كخريطة توزيع القبائل، الفتوحات الإسلامية وغيرها...كما اهتم هذا العلم بحدود الدول وتقسيماتها الإدارية.

4- علم اللغة أو الألسن:

يهتم بأساليب التعبير عن الأفكار واللغات. فالمؤرخ ملزم بمعرفة لغة البحث الأصلية. فالباحث في التاريخ العربي يشترط فيه التعمق في اللغة العربية وآدابها.

5- علم الآثار:

إن القرن التاسع عشرا حفل بالكشوف الأثرية التي قدمت خدمات جليلة لعلم التاريخ ومنهجية البحث فيه. حيث ساهم علم الآثار في إثراء المعرفة التاريخية ماضيها وحاضرها. خاصة ما تعلق منها بفترة ما قبل التاريخ.

6- علم الخطوط القديمة:

المقصود به طبيعة الخط وتطوره والأدوات التي كتب بها وعليها. فهو يحصر تاريخ الخطوط القديمة وطريقة تفكيك رموز هذه الكتابة

القديمة. مثال: الخطوط العربية القديمة:(الخط المسند – النبطي – الكوفي – النسخي – الفارسي – المغربي...إلخ).

7- علم الوثائق:

أصلها كلمة دبلوم أي الوثيقة الصادرة من سلطة رسمية معتمدة. يفيدنا في التفريق بين الصحيح والمزور. وفي القترة العاصرة أعتمدت تقنيات جديدة كفحص الأوراق التي دونت عليها هذه الوثائق كمعرفة عمرها، التأكد من الخطوط غير الواضحة أو المطموسة أو المحرفة عن قصد.

8- علم النقود أو المسكوكات: علم النِّمِيَات

أصلها يوناني (نوميسما Nomisma) مجالها دراسة تاريخ النقود، الميداليات، وهي تزودنا بمعلومات مهمة عن الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، كالنقد العربي الإسلامي في عهد بني أمية. النقد الإسلامي أصبح يحمل عبارات دينية، آيات قرآنية وغيرها. كما أن المادة التي استخدمت في النقود تعبر عن الرفاه أو الشدة، كالدولار والأورو في عصرنا.

9- علم النقوش الكتابية:

يدرس على مادة دائمة البقاء كالحجارة والمعدن كالمدونات على القبور، والنقوش الكتابية هي وثيقة أولية وشاهد مباشر. فهذا العلم يزيد التاريخ نضارة وتجددا وثقة وتثبيتا.

10- علم الأنساب:

هو علم عريق، حيث كان متطور جدا عند العرب في جاهليتهم، وذلك بغرض التفريق بين القبائل والأسر، ملكية الأراضي، تحديد النسل الحقيقي للقبائل، إثبات نبالة الأفراد حتى تتمتع بامتيازاتها.

إن علم الأنساب يساعد على الترابط الاجتماعي أما في التاريخ فهو يفيدنا في معرفة صلات القرابة حيث يقف وراء تفسير الكثير من الصراعات السياسية، ومعرفة الأحوال الاجتماعية والفكرية لمجتمع ما.

11- علم السكان أو الديمغرافيا:

مجال دراسته السكان، عددهم، تكاثرهم، أعمارهم، توزيعهم، جنسهم، طبقاتهم الأساسية. وهي مهمة جدا في تفسير الكثير من أحداث التاريخ.

12- علم الاجتماع:

يساعد التاريخ في دراسة التوجهات الاجتماعية، العلاقات الاجتماعية ومظاهرها، تاريخ الأسر وتطورها ودورها في الحركية السياسية والاقتصادية، والكثير من القضايا الجوهرية التي هي مجال علم الاجتماع.

13- الفنون:

إن الاطلاع على الآداب في عصر من عصوره يساعد كثيرا المؤرخ في فهم تاريخه. حيث أن الفنون من عمارة، رسم، موسيقى، تمثيل، رقص، وغيرها، توضح بدقة مختلف أنواع الحياة والتقاليد.

وعموما فإن المعرفة التاريخية المنهجية تتطلب الاطلاع الواسع على مختلف العلوم والمعارف وكلما كان المؤرخ أكثر اطلاعا كلما زاد أفقه وأن يحيط بكل الدراسات الأدبية، الفلسفية والتاريخية.

عنوان المحاضرة: اختيار موضوع البحث.

إن الهدف من الكتابة التاريخية هو الحصول على معرفة علمية حول الماضي الإنساني من خلال منهجية عقلانية، تساعدنا على الوصول إلى الحقيقة حسب الظروف التي تتيح لنا ذلك، كطبيعة الوثائق المستخدمة ومدى وفرتها مع التكوين الفكري للباحث التاريخي.لذا فإن صنع معرفة علمية من الماضي الإنساني تحتاج إلى خطوات هي:

- اختيار موضوع البحث:

يعتبر خطوة مهمة في هذا الإطار، وهو أهم مرحلة كذلك. فالمبادرة تستوجب على الباحث أن تكون ذاتية، تنطلق من اهتماماته البحثية.

غير أنه يجب أن يلتزم بالنقاط التالية:

- أن يكون اختياره نابعا من ذاته.

- أن يكون الموضوع محل الدراسة موجودا في الماضي وله هدف ومغزى في الحاضر.

- أن يلقى الموضوع استجابة من الباحث، حيث يتحمل مشاقه وصعابه بصبر وموضوعية.

- أن تتميز المشكلة المطروحة بالجدة. لا في عنوانها فحسب، ولكن حتى في محتواها.

- أن تكون المشكلة على مقاس الباحث. بحيث تراعى ظروفه المادية والفكرية وجهده في العمل وقدرته على التنقل.

- أن تكون المصادر قادرة على تقديم وتوضيح المشكلة المطروحة (وفرتها، غناها بالمعلومات...).

- أن يكون للموضوع قيد الدراسة فترة زمنية بعيدة تبعده عن الذاتية والتأثيرات الشخصية.

2- جمع المصادر:

بعد طرح الباحث للمشكلة وجب عليه أن يجيب عنها. وذلك من خلال جمع المصادر، بحيث أنه يعيد تركيبها بشكل يحاكي واقعها في الماضي.

وهذه المرحلة أكثر صعوبة وتعقيدا، وتسهيلا للدراسة يمكن تصنيف المصادر أو الوثائق إلى مجموعات هي:

أ - الوثائق المكتوبة والمطبوعة:

يطلق عليها اسم النصوص أي كل ما خلفه الإنسان في الماضي من مدونات كتابية على الفخار، الحجر، المعدن وأوراق البردي، وقد ذهب الكثير من الباحثين إلى القول بأن هذه النصوص تمثل الأصول الكبرى التي يجب الاستناد عليها من قبل المؤرخ بالإضافة إلى السجلات الصوتية، مثال:

- وثائق الأرشيفات أو المحفوظات الحكومية:

تندرج ضمنها جميع البلاغات، التعليمات، الأوامر، القرارات، المراسيم والسجلات في جميع دوائر الدولة، وباختصار كل الأوراق المكتوبة والمتبادلة بين السلطة والمواطن، وبينها وبين الدول الأخرى وعادة ما تمس التاريخ السياسي والدبلوماسي.

إن سجلات الدولة المختلفة تكتسي أهمية كبيرة حيث تقدم لنا معلومات دقيقة حول الأحوال الفكرية، السياسية، الاقتصادية والثقافية حول المجتمع في تلك الفترة.

- أرشيفات المنظمات المختلفة في المجتمع:

تشمل سجلات الجمعيات، النقابات بأنواعها، الأحزاب السياسية، مختلف الهيئات السرية والعلنية، وهي ذات أهمية كبيرة لدراسة تاريخ المجتمع وتطوره في جميع النواحي.

- المدونات الإعلامية:

كل مدونة الهدف منها إعلام الجمهور بما يقع من أحداث وكل النشاطات داخل المجتمع وخارجه(نشرات الأخبار، الصحف، الحوارات المتنوعة، الإذاعة وغيرها...). لقد لعبت الصحف دورا معتبرا في تحريك الجماهير والرأي العام. لذا وجب على المؤرخ الاستعانة بها مع تدقيق عميق لمعلوماتها.

- التقارير السرية:

هي نوعان: تقارير حكومية رسمية وهي التي كتبها رجال الدولة الكبار، عندما كانوا يباشرون مهامهم وهي جزء من الأرشيفات الحكومية ولها وزنها في البحث التاريخي مثل التقارير السرية العسكرية، وتقارير السياسة الخارجية، تقارير المخابرات...إلخ

أما النوع الثاني فهي التقارير السرية الخاصة وتتمثل في اليوميات، المذكرات، المراسلات الشخصية كمذكرات نابليون بونابرت، تشرشل، ديغول.

المؤلفات الأدبية والجغرافية والفلسفية والفنية والتاريخية في مختلف مجالات المعرفة.

ب- الوثائق الأخرى:

وهي بقية المخلفات المحسوسة التي تم التطرق إليها سابقا(مباني، قصور، معابد، كنائس، مساجد وأضرحة، الطرق، الجسور، النقود، البقايا الإنسانية، الصور المتنوعة من خلال الرسم اليدوي والآلي، النحت، السجاد، الأقمشة والفنون الأخرى.

كما أن للتصوير الفوتوغرافي والسينما دور مهم كذلك في عملية البحث التاريخي باعتبارهما مصدرا وثائقيا جديدا وهاما. وهنا لا يفوتنا ذكر الوثائق الأخرى كالتسجيلات، الأسطوانات والأشرطة فهي تقدم للباحث معلومات مهمة.

كما أن المكتبات هي المكان الأساسي الذي يجب على المؤرخ الذهاب إليه، لأنه يحوي مصادره الأولية ومراجعه العلمية، حيث يبحث المؤرخ عن: البيبلوغرافيا – الوثائق وأدوات البحث.

فالبيبلوغرافيا تفيد في معرفة ما كتب حول موضوع بحثه من مؤلفات وما نشر منها. وبالتالي فهي أداة الباحث.

بينما نجد الوثائق الأرشيفية والأركيولوجية كذلك والمخطوطات المتنوعة، كما لا ننسى كذلك المؤلفات الرئيسية والموسوعات العامة التي يطلق عليها اسم المعارف العامة والتي تتواجد بالمكتبات وقاعات البحث. كما تلعب دور الأرشيف أو المخطوطات دورا مهما في إفادة الباحث في معرفة الكثير عن حضارات الأمم السابقة.

إذا كانت الوثائق المكتوبة أو المصورة أو المنطوقة قد حفظت في دور الأرشيف فإن المخلفات الأثرية المتنوعة أو اللُّقَى توجد في المتاحف والتي تتمثل في ثلاثة أنواع وهي: متاحف الفن، متاحف التاريخ ومتاحف العلم.

ج- الرواية المباشرة أو المصدر الحي:

لاشك في أن الباحث التاريخي عند تجميعه لمصادر بحثه لابد أن يعود لدور الأرشيف وغيرها للحصول على معلومات تخدم بحثه.

لكنه إذا ما اختار مسألة معاصرة فإنه يتجه مباشرة إلى الأشخاص الذين عايشوها أو كانوا شهود عيان أو مشتركين فيها، حيث يحصل منهم على كل ما يعرفونه منها. بعد أن يكونوا قد أعدوا مجموعة من الأسئلة الشاملة والذكية التي يطرحها الباحث على صاحب الرواية الشفوية ويستحسن فيه أن يكون قد عاش أجواء الحادثة.

وإذا تعذر على المؤرخ مقابلة هؤلاء الأشخاص فإنه بإمكانه مراسلتهم وأن يحصل منهم على ما يريد من حديث، وثائق يملكونها مكتوبة أو مصورة أو ناطقة أو محسوسة. وفي هذا المقام يخص الباحث كل شخص ببطاقة خاصة، يضع عليها اسمه وترجمة دقيقة لحياته ويسجل

على تلك البطاقة أيضا المعلومات الأساسية التي تلقاها منه، ويربطها بالوثائق التي حصل عليها، كما يستحسن أن يسجل الباحث المعلومات التي تحصل عليها من المصدر الحي على شريط صوتي مع تدوينها كتابيا.

ملاحظة:

للمزيد ينظر: كتاب منهجية وتقنيات البحث التاريخي.للدكتورة ليلى الصباغ.